



لم يكن ابراهيم يدخل الكنيسة الما في المناسبات التي لا بد منها. لم يثر ذلك انتباهه أحد. حضور ابراهيم او غيابه لا يشغل بال المصلين. ابراهيم ، كما يتندر بعض سليطي اللسان ، هو التجسيم المبشري الكامل لقانون الحاضر غائب. حضوره لا يلفت الانتباه وغيابه لا يغير من الحدث شيئاً. هو أفقر سكان البلد، ولكن ليست مشكلة الفقر هي السبب ، فبعض الفقراء لهم حضورهم ورأيهم. ابراهيم اذا حضر لا ينبس ببنت شفة. لا راي له، لا مجموعة يقف معها، لا يتبادل الحديث مع أحد، لا شيء يتحدث به اذا شاء الحديث الما سوق الحديد المخردة المراكد، ومن يهتم بهذا الفرع؟ وربما لم يسمع به أكثرية ابناء البلد. حتى المخوري لم يحاسبه على غيابه، بل يظن البعض ان حضوره صلاة الأحد لا يلقى ترحيباً من المخوري أيضاً، لأن حضوره لا نافر للأجواء الكنسية ويشبه نبتة بلدان شائكة في بستان زهور.. رغم ان احداً لا يقول ذلك من منطلق ان تعاليم المسيح التي لا بد لكل من يدعي الايمان، ان يلتزم بها لا تميز بين الناس، وتطويباته المشهورة بدأت ب: "طوبى لفقراء الروح فان لهم ملكوت السماوات".

كان ابراهيم تاجر خرده ، يتاجر بكل ما هو قديم وبال، يجمع ما يجد بالمشوارع من قطع حديد او صاج بال، ليبيعه لتاجر من المدينة يحضر مرة كل شهر ، وبالماكاد يربح ما يسد رمق اولاده الثمانية، وزوجته حسب أقوال نساء المحارة : "امرأة في حيل مزمن". رغم ضيق ذات اليد ، الما ان الله باركه بزوجة لا تلد الما الصبيان، وربما هو الأمر الوحيد الذي يحسده عليه أهل البلد . وللكثرة الأولاد مستعدة زوجة ابراهيم دوماً للقيام بأي عمل يطلب من بيوت البلدة الموسرة، تنظيف، تعشيب الأرض، شراء احتياجات النساء من السوق، مقابل بضعة قروش وبعض الأرخفة والملابس القديمة. وبعدا الثمانية ، أطال الله عمرهم ووهبهم الصحة والطعام ، فقد ثكل ابراهيم وزوجته اربعة أطفال ، ويقال ان سبب موتهم قلة التغذية، الأمر الذي حرك عواطف الجيران، ومن يومها لم يتوقف الجيران عن ارسال ما تيسر من طعام زائد ، او بعض الخضار والمفواكه التي بدأت بالذبول الى زوجة ابراهيم لتقويت اولادها. لا يعرف أحد سبباً لعدم مشاركة ابراهيم وزوجته صلاة أيام الأحد. وكان هناك شبه اتفاق بالمصمت، بأن لا يحثوا ابراهيم على ضرورة الاهتمام بالمشاركة بصلاة الأحد من أجل اكتمال دينه. حتى المخوري الذي لا يمل من القول ان الله يحب كل ابنائه بالتساوي ، لا فرق بين غني وفقير قوي وضعيف ، لم يحاول حث ابراهيم على التواجد في الكنيسة أيام الآحاد.

كان أكثر ما يخيف المخوري ان يؤدي تواجد ابراهيم بينهم بشيابه الدرثة، ورائحة عرقه المثيرة للإمتعاض والضيق، الى مشكلة، يتوقعها بتفكيره، من انفضاض المصلين من الجلوس بقربه، وربما عدم عودتهم لصلاة الأحد ، الأمر الذي سيرك أثره الكبير على صينية التبرعات النقدية يوم الأحد، وكان المخوري يجد الجواب لنفسه بقوله: "لعل في ذلك حكمة ربانية". ان مصروفات الكنيسة تتزايد مع ارتفاع الأسعار ، وحتى سعر الكهرباء صار يحتاج الى "لمة" ليحث عليها المخوري في موعظته كلما تلقى وصلاً جديداً.

ومع ذلك ، والمتزماً بتعاليم المسيح، كان المخوري لا يستثني ابراهيم وعائلته من زيارته لبيوت أبناء الطائفة ، لمباركة البيت وأهله والدمعاء لهم بالصحة والصلاح. وحمائيتهم من كل مكروه ، وان يبارك الله بيتهم بالذرية الطيبة، وبالوفرة والوفاق. لم تكن زيارة المخوري تسبب المفرح للسيد ابراهيم، ولكنه يخفي ضيقه ، ويستقبل المخوري بكل ترحاب، بل ويجمع أولاده ليباركهم المخوري، ثم يبحث في جيبه عن بضعة قروش ليضعها بيد المخوري، الذي يمتنع من أخذها في البداية من منطلق معرفته لواقع هذا البيت. ولكن ابراهيم يصرا ان لا يخرج المخوري مفضلاً، وان المسألة ليست بقيمة ما يقدم لأبونا المخوري والكنيسة ، انما هي تعبير رمزي عن التقدير



هل هو قادم جديد للبلدة؟ الوجه قريب جدا من الوجوه المألوفة للخوري. ولكنه متأكد ان فيه تغيير ما.. وفجأة  
لمعت الصور جيدا بذاكرته، سأل مترددا:

- ابراهيم..؟

- أجل يا أبونا انا ابراهيم نفسه

- تفضل يا ابني ، أدخل. أهلا بك في بلدك وبيتك.

مليون فكرة التمعت بثوان في ذهن الخوري. ما تناقله بعض أهل البلد عن ابراهيم الذي شاهده في المدينة

المقريبة يبدو انه صحيح. ربما هذا ابراهيم آخر؟

- قل لي يا ابني ، انت ابراهيم نفسه ابن بلدنا ، الذي غادرنا قبل سنة؟

- انا ابراهيم الذي مددت يدك له بالمساعدة حين وقف الجميع متفرجين على زعران يعتدون علي

ويسرقون ثمن خبز الأولاد. جئت ارد الميك الدين الذي في رقبتني.

- انها قروش قليلة يا ابني.. والمصلين لا يبخلون على صندوق الكنيسة.

- انه دين كبير يا ابونا، تفضل..

ومد يده بورقة شيك للخوري.

- يا ابني ما ساعدتك به ليس ديننا، انه واجبي...

وصمت الخوري وهو يتأمل المبلغ الذي كتب على الشك.. اجال نظره بين ورقة المشك و ابراهيم، عاجزا عن ايجاد

كلمات يعبر فيها عن الموقف الذي وضعه فيه ابراهيم بورقة المشك. وبعد صمت قصير وجد جملة مناسبة:

- انه مبلغ كبير.. كبير جدا.. عشرة الاف ليرة مرة واحدة؟

- انه ديني للكنيسة.. ولأهل البلد الذين لولا ما تكرموا علينا به لمات اولادي من الجوع.

- ومن أين كسبت هذه الأموال؟

- منذ ركعت في الكنيسة لوداع البلد ، فتحها الله بوجهي ، أصبح الحديد الخردة تجارة مربحة، اليوم لدي

عدة شاحنات وعدد من العمال ، اشتريت بيتا ، والمسيح فتحها في وجهي بعد ان رجوته في صلاتي الوحيدة ان

يتطلب بي وبالأولاد .

- وانا كاهن واصلي يوميا باخلاص عدة مرات.. ولكني لم احلم ان اكتب يوما شيكا بقيمة عشرة الاف

ليره..؟ بالكاد نسد اثمان الكهرباء والماء والتنظيف.

- واوصيت للكنيسة على مكيفات هوائية سيحضر الضيوف لتكبيها غدا.

- كيف من صلاة واحدة، ورجاء واحد وصلت الى ما وصلت اليه، وانا الخوري المؤمن والذي يصلي كل

نهاره وليله ويطلب ان يفتحها الله بوجهه كنيسته لا نحصل على ما يساعدنا في تغيير مقاعد الكنيسة مثلا؟

- المصلاة ليست بالمك، ولما بالصراخ والصوت المرتفع، ولما بالشكل الذي نظهر به في الشارع وليس بملابس

غريبة عجيبة. الصلاة يا أبونا الخوري من القلب، والقلب لا يغير شكله ولما قوة دقاته واذا كان الله كما تصفونه

فهو قادر على سماعنا وقراءة تفكيرنا.. وساغير مقاعد الكنيسة على حسابي.

- ولكني اصلي بصمت ومن القلب ، وعدة مرات كل يوم؟

- يبدو انك ملحاح يا ابونا الخوري ، هل تظن ان الله لك وحدك؟!

□